

اسم المادة الدراسية :الأدب العباسي ( الشعر).

اسم المادة باللغة الانكليزية : Abbasid Literature of poetry

(المحاضرة الرابعة عشرة )

عنوان المحاضرة : ابن الرومي .

التدريسي ولقبه العلمي : أ.د. محمد عويد محمد الساير

المرحلة الدراسية : الثالثة

## محاضرة ١٤

### ابن الرومى

على بن العباس بن جريح، وكان يونانى الأصل كما يشهد بذلك اسم جده، ونراه فى شعره ينسب نفسه إلى اليونان مرارا وقد يسميهم الروم أحيانا من مثل قوله:

ونحن بنو اليونان قوم لنا حجى ...ومجد وعيدان صلاب المعاجم

وقوله فى مواليه العباسيين:

مولاهم وغذى نعمتهم ...والرّوم-حين تنصنى-أصلى

ولم تكن أمه رومية، بل كانت فارسية، وعلى نحو افتخاره بأصوله من الروم يفتخر بأصوله وخطولته من الفرس، حتى لينسب نفسه إلى ملوكهم الساسانيين، وهى نسبة لم يكن عليها حجاب،

فكان كثير من الشعراء ذوى الأصول الفارسيّة يدّعونها، ومن فخره بنسبه العريق- فى رأيه- من قبل أبيه وأمه قوله:

كيف أغضى على الدنيّة والفر ...س خئولى والروم هم أعمامى

وقد ولد لأبويه ببغداد سنة ٢٢١ للهجرة نحىلا دمىم الوجه تقتمحه العيون، وظل طوال حىاته ينعى على نفسه دقة جسمه وضآلته وقبحه، وله فى ذلك أشعار كثيرة يصرح فىها بدمامته :

شغفت بالخرد الحسان وما ...ىصلح وجهى إلا لذى ورع

كى يعبد الله فى الفلاة ولا ...ىشهد فىها مساجد الجمع

وىبدو أن أباه كان على شىء من اليسار، وحقًا توفى فى مطالع حىاته، ولكن يظهر أنه ترك للأسرة ما يتىح لها على الأقل كفاف العىش. وكان له ابن آخر يسمى محمدا عمل فى الدواوين الحكومية، كما كانت له فتاة مانت قبل أمها، وابن الرومى فى نحو الخمسین من عمره. على كل حال مكّن يسار هذه الأسرة لابن الرومى أن يتجه إلى التعلم فالتحق ببعض الكتاتیب، وكانت تعنى بتحفىظ القرآن الكرىم وتلقین الناشئة النحو وبعض الأشعار والخطب وشىئا من الحساب، فالتهم ذلك كله الصبى، ثم مضى ىختلف إلى حلقات العلماء فى المساجد تارة ىستمع إلى محمّد بن حبیب الراوية المعروف أو إلى زميله ثعلب، وأخرى ىستمع إلى بعض المحدثین أو بعض الفقهاء أو بعض رواة التاريخ والأخبار. وكانت دار الحكمة التى عنى بها الرشید والمأمون مدّ ىده وعینه، وكانت تكتظ بكتب الفلسفة وعلوم الأوائل فانقض عليها انقضاضا , وقد تقتمحت موهبته الشعرىة مبكرة، وهو لا ىزال حدثا فى الكتاب، إذ تروى له أبيات حینئذ فى هجاء غلام عباسى ىسمى جعفرًا كان زمىلا له، وكان ذلك كان إرهابا بأن الهجاء سىغلب علیه طوال حىاته. وقد مضى ىتخذ الشعر -كلداته-حرفة ىتكسب بها، فهو ىعرضه على علىة أهل بغداد، وكان طبعیًا أن ىعرضه على كبار الموظفين ورجال الدولة وفى مقدمتهم أبو العباس محمّد بن طاهر حاكم بغداد منذ سنة ٢٣٧، وأسرة الطاهرىین معروفة كان طاهر بن الحسین قائدا للمأمون وهو الذى قضى على ثورة الأمين، وكان ابنه عبد الله بن طاهر أمیرا لخراسان وخلفه علیها ابنه طاهر. وحاول ابن الرومى الزلفى إلى محمّد بالمدیح، وىبدو أنه لم ىكن ىتسع فى ثوابه ومكافأته، وكان على علم بالشعر، فأخذ ىنقد بعض أشعار ابن الرومى، وغازط الشاعر الشاب نقده. بل لقد أخذ ىحرمه نواله، مما جعل ابن

الرومى ىوجه إليه مثل قوله : مدح

مدحت أبا العباس أطلب رفته ...فخيتني من رفته وهجا شعري

ويبدو أنه كان بخيلا، وأن بخله كان السبب الحقيقي في انصرافه عن الشاعر، متعللا بأنه لا يعجب بشعره، مما جعل ابن الرومي يصبّ عليه سيطا حامية من الهجاء، وهو يعمم فلا يقف بهجائه له عنده وحده، بل يعمّ به أسرة الطاهريين جميعا من مثل قوله :

إذا حسنت أخلاق قوم فيئسما ...خلفتم به أسلافكم آل طاهر

جنوا لكم أن تمدحوا وجنيتم ...لموتاكم أن يشتموا في المقابر

ولا يلبث يحيى بن عمر العلوي أن ينهض بثورة عارمة في الكوفة ضد الدولة، ويجند جيشا كثيفا لحرب العباسيين، ويلتقى به محمد بن عبد الله بن طاهر لسنة ٢٥٠، وتدور عليه الدوائر، ويقتل في ساحة المعركة ويغضب له ابن الرومي غضبا شديدا، ويرثيه بجيمية طويلة، يندبه فيها ندبا حازا، مصورا حرقة حزنه عليه بمثل قوله:

سلام وريحان وروح ورحمة ...عليك وممدود من الظل سبج

ويا أسفى أن لا يردّ تحية ...سوى أرج من طيب تشرك بأرج

ألا إنما ناح الحمائم بعد ما ...ثويت وكانت قبل ذلك تهزج

، ويسخر منه في مقطوعات مختلفة من مثل قوله في السخرية :

هو الأسد الورد في قصره ...ولكنه ثعلب المعركة

هجا سليمان بن عبيد الله بن طاهر حاكم بغداد :

جاء سليمان بنى طاهر ...فاجتاح معتز بنى المعتصم

كأن بغداد لدن أبصرت ...طلعته نائحة تلتدم

مستقبل منه ومستدبر ...وجه بخيل وقفا منهزم

**تحذير المعتز من الخلافة :**

دع الخلافة يا معتز من كذب ...فليس يكسوك منها الله ما سلبا

وفرح ابن الرومي بما ناله، فدبج فيه قصيدة طويلة ، استهلها بالغزل نافذا إلى طريقة جديدة، إذ عرض من خلال وصفه لصاحبه ما في الحقائق من فواكه شهية، حتى سماها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر دار البطيخ أى حانوت الفواكه، ومضى بعد ذلك فى مديح أبى الصقر مدحا رائعا، غير أنه لما استمع إلى قوله:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ...كلا لعمرى ولكن منه شيبان

ظن أنه يعرض به، لأنه كان يدعى نسبه من شيبان ولم يكن شيبانيًا حقيقة فقال: هجاني،  
وراجعه بعض الحاضرين قائلاً له: إن هذا من أحسن المدح، ألا تسمع ما بعده:  
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علت برسول الله عدنان  
فقال: أنا بشيبان، وليست شيبان بي، ومأله الغيظ والغضب على ابن الرومي، فقيل له: ألم  
تسمعه يقول:

ولم أقصر بشيبان التي بلغت ... بها المبالغ أعراق وأغصان  
لله شيبان قوم لا يشوبهم ... روع إذا الرّوع شابت منه ولدان  
فاستمر في غيّه وسوء فهمه، وقال: والله لا أثيبه على هذا الشعر  
هجاه ابن بلبل , يقول ساخرًا هازئًا به :

تشيين حين همّ بأن يشيبا ... لقد غلط الفتى غلطا عجيبيًا؟  
وكانت لديه قدرة بارعة على عرض أخيلته في مثل هذه الأقيسة، فصاعد يستحق مجدا عظيما  
فوق ما منح من مجد الوزارة الذي أسبغ عليه بفضل خزمه وحسن تدبيره، وما مثل الوزارة بالقياس  
إليه إلا مثل العقد في الجيد الجميل جمالا يفوقه، بل مثل الثوب يضيء على الجسد الفاتن.  
ويجمع بين جمال الخلقة والأخلاق في بعض ممدوحيه وينفذ إلى هذه الصورة البديعة:  
كلّ الخصال التي فيكم محاسنكم ... تشابهت منكم الأخلاق والخلق  
كأنكم شجر الأترج طاب معا ... حملا ونورا وطاب العود والورق  
فهم مثل شجر الأترج يطيب عوده وورقه وزهره وثمره، طيب على طيب، وكثيرا ما تلقانا مثل هذه  
الأخيلة الدقيقة في مديحه كقوله في بعض ممدوحيه:

أوفى بأعلى رتبة وتواضعت ... آلاؤه فأحطن بالأعناق  
كالشمس في كبد السماء محلّها ... وشعاعها في سائر الآفاق  
ومن قوله في رثاء ابنه الثالث:

أبنّي إنك والعزاء معا ... بالأمس لفّ عليكما كفن  
ما في النهار - وقد فقدتكَ - من ... أنس ولا في الليل لي سكن  
ما أصبحت دنياي لي وطنا ... بل حيث دارك عندي الوطن  
ويكثر العتاب في ديوان ابن الرومي، وقصيدته في عتاب أبي القاسم التّوّزي الشطرنجي مشهورة،  
ومرّ بنا في الفصل السالف قطعة بديعة منها في وصف لعب أبي القاسم بالشطرنج، وكان أمهر

معاصريه فى لعبه، غير أنا نقف الآن عند عتابه، وقد عرضه عرضاً طويلاً طريفاً، إذ أخذ يذكره بما كان بينهما من صفاء، ثم نشأت بعد ذلك هنوات لا يرضاها الصديق، يقول:

كشفت منك حاجتى هنوات ... غطيت برهة بحسن اللقاء  
تركنتى ولم أكن سيئ الظن ... أسئ الظنون بالأصدقاء  
قلت لما بدت لعينى شنعاً ... رب شوهاء فى حشا حسناء

ولابن الرومى غزل كثير يأتى به مستقلاً تارة، وتارة فى مقدمات قصائده، وقلما يصوغه بصيغة المذكر مما يدل على أنه لم يكن صاحب غلمان مثل أبى نواس أو حتى مثل البحتري، ومررت فى الفصل الماضى قطع مختلفة له فى وصف العناق وجمال العيون ومن بديع ماله فى وصف الشعر المسترسل حتى مواطئ القدم قوله:

وفاحم وارد يقبل مم ... شاك إذا اختال مسبلاً غدره  
أقبل كالليل من مفارقه ... منحدر لا يذم منحدره  
حتى تناهى إلى مواطئه ... يلثم من كل موطن عفره  
كأنه عاشق دنا شغفا ... حتى قضى من حبيبته وطره

المصادر والمراجع :

- تاريخ الادب العربي فى العصر العباسي الاول : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - الاسكندرية ، ١٩٨٦.
- تاريخ الادب العربي فى العصر العباسي الثاني : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - الاسكندرية ، ١٩٨٦.
- الادب العربي فى العصر العباسي : د. ناظم رشيد ، دار الكتب الوطنية - العراق ، ١٩٩٠.
- تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان ، نقله الى العربية : عبد الحلیم النجار ، دار المعارف - الاسكندرية ، (د.ت).
- تاريخ الأدب العربي : د. عمر فروخ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨١.

- ديوان الشاعر المتنبي .
- ديوان الشاعر ابي تمام .
- ديوان الشاعر البحتري .
- ديوان الشاعر ابي نواس .
- ديوان الشاعر العباس بن الاحنف .
- ديوان الشاعر الشريف الرضي .
- ديوان الشاعر بشار بن برد .
- ديوان الشاعر ابن الرومي .